الشخصية كذات :

وفي هذا الفصل سأواصل رصد تحول العامل إلى ممثل بما يتسم به من مظهر اجتماعي ونفسي،وكل ما يتعلق ببنية الممثلين.وسأبحث العناصر المميزة للشخصية الروائية من اسم ومظهر ووضع ثابت أو متقلب تظهر آثاره في علاقات الشخصية،وفي تحركاتها،وفي ما تقوله الشخصية عن نفسها،وفي ما تقوله الشخصيات الأخرى عنها،وهذا يسمح بتكوين صورة معنوية ودلالية عن الشخصية في ما بعد من خلال جمع تلك العلاقات المتناثرة في النص .

المظهر الاجتماعي والنفسي للشخصيات:

1- الرجال:

في رواية "**المرفوضون**" نجد "أحمد":عاملا جزائريا بلا مؤهلات هاجر قريته "أدكار" إلى فرنسا لفقره في سن مبكرة بتدبير عمه فـ"حينما بلغ الخامسة عشر أرسله عمه إلى فرنسا"[(1)].كان والده قاسيا عليه أشد ما تكون القسوة،غضوبا أشد ما يكون الغضب؛ولأنه تسبب من غير قصد في إلحاق ضرر بأخته الصغيرة الوحيدة فـ" عثرت رجلاها فهوت على الأرض وارتطم فمهما بحجرة وانكسر أحد أسنانها"[(2)]،فما كان منه بعد أن هرعت إليه باكية حاملة سنها ودمها ينزف من فمها إلا أن" صرخ في وجهه،لتنزل لعنة الله عليك"[(3)] .

في فرنسا يشعر بأن حياته بلا معنى ولا غاية لها، حياة ملعونة بائسة قذرة فـ" كانت المرارة قد جثمت على نفسه لرتابة وتفاهة حياته،تلك الحياة التي لا تكاد تخرج عن التنقل في الحافلة إلى المصنع ومن المصنع إلى الحافلة "[(4)].

(1) – إبراهيم سعدي: المرفوضون (رواية)،مصدر سابق،ص176

(2)– المصدر نفسه،ص174.

(3)– المصدر نفسه،ص175.

(4)– المصدر نفسه،ص99.

وحياته في غرفته لا فرق بينها وبين الحياة في السجن،فلا يحب العودة إلى مسكنه في كل مرة ينهى فيها عمله فـ"كان مستوليا عليه نفور شديد من الذهاب إلى شقته،كأنما هو قاصد زنزانة سجن."[1]في مسكنه يتعرض لمضايقات جارته "ماري" في كل مرة،بالرغم من وجود حالات هدنة بينها لكنها لا تعمر فـ"المشاحنات كانت تنشب بينها من قبل بصورة تكاد تكون منتظمة."[2]

ومن ملامح الشخصية النفسية أن"أحمد" أخذ يدرك إدراكا راسخا بأن اللعنة الأبوية تطارده،لقد استولى هذا الهاجس على حياته وكل تفكيره،فكل الانتكاسات التي أصابته في حياته جميعها كانت بسبب تلك اللعنة التي مازال صداها يتردد في أعماق نفسه فـ"كل ما حاق به في حياته ليس في النهاية سوى نتيجة لتلك اللعنة الأبوية."[3]

وهو أسير المعاناة من وقع الميز العنصري في كل مرة يحتك فيها بمحيطه الفرنسي،لذلك كان حذرا في التواصل بالناس وخاصة الذين لا يعرفهم،فالذعر والقلق سمة من سماته،إنه يدرك في كل مرة "بأنه إنسان غير مرغوب فيه"[4].لهذا نراه كل مرة يلوم نفسه على تضييعه لأسرته وبقائه في ذلك الفضاء المعادى،ولأجل ذلك يمقت "أحمد" الماضي بكل تراكماته ويكره الحاضر بما فيه من الآم،فهو بلا ذوق،وهذه الفكرة تظهر في حديثه للمومس "كاترين" التي أخبرته بأنها تمقت التفكير في الماضي،فأجابها: "أنا أيضا...ولكن أمقت التفكير كذلك في الحاضر."[5] و"أحمد" محروم من التواصل الإنساني بكل أشكاله،لقد حرمته الحياة كل شيء،وهاهو تتاح له فسحة منه، فتثير في

---

(1)–المصدر السابق،ص98.

(2)–المصدر نفسه،ص101.

(3)–المصدر نفسه،ص175.

(4)–المصدر نفسه،ص08.

(5)–المصدر نفسه،115.

نفسه دفقا من المشاعر،فتواصله مع الفتاة الفرنسية المستنجدة به جعله "لم يستطع (...) منع نفسه من التفكير في ذلك الدفء الذي بثته فيه الفتاة (...) وجثم على صدره شعور يأس شديد"[1].

"جان": تبدو لنا شخصية "جان" من خلال رسائل "برنار" لزوجته "ماري"،بأنه رجل بلا ضمير أو خلق، فقد كان يقتل الأبرياء العزل في حرب الجزائر لقد" أطلق النار بتلك السهولة على شيخ هرم لا يمثل خطرا على أحقر ذبابة"[2]،وهو معتد على أعراض الأبرياء أثناء تلك الحرب، بل كان القدوة لجنوده في انتهاك شرف فتاة جزائرية فـ"أخذ العسكريون يعتدون على عرضها الواحد بعد الأخر لقد بدأ جان في ذلك"[3]،وهو عنصري حتى النخاع ضد كل ما هو عربي في حياته المدنية وبدا ذلك مع العمال العرب حينما كان مديرا لمأوى كانوا يقيمون فيه،فمارس ضدهم كل أنواع القهر والإساءة يقول:"لكن مهما يكن الأمر فإنني أذقت هؤلاء البونيول*من العذاب،لقد أقمت في ذلك المأوى نظاما عسكريا"[4].

و"جان"متكبر معجب بنفسه وكذّاب،ويظهر هذا عندما التقى بالسينغالي "ممادو" في بيت "ماري" وعرف بأنه كان جنديا بسيطا في حرب الجزائر،وفي حرب الهند الصينية،وأنه أصيب بجروح هناك ،عندها كذب عليه "جان" بقوله :"كانت لدي أنا رتبة ملازم أول"[5].ولم يكتف "جان" بهذا بل راح يحتقر السينغالي"ممادو" فـ" بدا له بأن شفتيه غليظتان أكثر من اللازم،وأن وجهه يشبه وجه قرد عجوز"[6].و"جان" جبان لا يكون قويا إلا بالسلاح،لذلك لا يستطيع المواجهة إلا إذا كان على يقين بأنه سيكون المنتصر فـ"نفسه هشة ضعيفة حينما يعوزها السلاح أو السلطة "[7].

---

(1)–المصدر السابق،ص193.

(2)–المصدر نفسه،ص45.

(3)–المصدر نفسه،ص48.

(4)–المصدر نفسه،ص76.*وهو نعت قدحي موجه لأهالي منطقة المغرب العربي بمعنى:العبيد

(5)–المصدر نفسه،81.

(6)–المصدر نفسه،ص84.

(7) – المصدر نفسه،ص109.

و"جان" رجل حاقد حتى على أقرب أصدقائه ويظهر هذا حينما رأى صورة "برنار" فـ"فكر بأن الموت تلائمه وأنه ما كان عليه أن يولد أبدا"[1].

أما حياته الاجتماعية فتظهر لنا بأن "جان" يعيش بلا أسرة فهو بعيد عن كل تواصل،فليس له أبناء؛لأنه بكل بساطة لم يتزوج،فحينما سأله "ممادو" عن عدد أبنائه شعر بأن ذلك السؤال سيستفزه وأدركت "ماري" التوتر الذي طرأ على "جان"،وقد أجابت بدلا منه عن السؤال الذي وجهه له "ممادو" بأن قالت:"جان ليس متزوجا "[2]،وهو مفلس يضطر للاستدانة من "ماري" التي تعرف حقيقته،لأنه لا يزورها إلا من أجل مصلحته يقول لها:"إنني بحاجة إلى مبلغ صغير من المال"[3]،وهو مغامر مرتزق يقول لـ"ماري"،"سألتحق بفرقه من المرتزقة،سأحصل على رتبة عالية،وعلى أجر كبير جدا ،سأصبح غنيا في فترة قصيرة للغاية"[4].

وفي رواية "**النخر**"يمكن تحديد المظهر الاجتماعي والنفسي للشخصيات وكما يلي:

"دحمان" وهو ابن "باية" الكبير الذي يعيش معها،متزوج من "فاطمة" وله ستة أبناء و"دحمان" عامل في مصلحة البريد،في طفولته كان مثلا للخلق الكريم،وأنموذجا للتقوى والورع ما كانت عائلته تتوقع أن تسوء أحواله وتتردى أخلاقه بسبب نشوز زوجته "فاطمة" فيهجرها إلى المومس "وحيدة" فصار" يتعاطى الخمر،كما صارت تعتريه حالات حادة من الغضب يحطم ويهشم أثناءها كل شيء يقع في يده تماما كما كان يحدث لأبيه حمو"[5]. لكنه عمد إلى المسجد فحاول أن يترك الحياة الدنيئة التي يعيشها ليستقيم بعد ضلال دام خمس سنوات فـ"شمله إحساس بالهدوء والصفاء والتوافق مع الكون(...) ما عرف مثله سوى أيام كان منصرفا إلى العبادة وهداية الناس قبل أن يلتقي بفاطمة

(1) -المصدر السابق،ص161،160.

(2) -المصدر نفسه،ص84.

(3) -المصدر نفسه،ص88.

(4) -المصدر نفسه،ص86.

(5) -إبراهيم سعدي:النخر(رواية)،مصدر سابق،ص303.

ويتزوج منها"[1]،لكن استقامته لم تدم فعاوده الهم إلى السكر من جديد . يرى "دحمان" كل الناس أعداء،عدا أبناءه وأمه "باية"،فبعد وفاتها "فقد دحمان هكذا آخر من أحب من المخلوقات البشرية،آخر من بقى خارج صفوف الأعداء "[2] .

أما حبه لـ"فاطمة" في بداية شبابه فلا يمكن إنكاره، لقد "أحبها أيما حب في وقت من الأوقات مضحيا في سبيلها بكل شيء"[3]،حتى أنه أضرب عن الطعام من أجل زواجه،لقد أضحى "دحمان" يكره زوجته كل الكره فلم يعد يتعامل معها إلا بالشتم والصراخ منذ سنوات عديدة، فـ"رزحت على قلبه لا مبالاة مطلقة (...)فلم يكن يرغب إلا في شيء واحد، أن تبتعد عنه وأن تغرب عن وجهه، وأن تكف عن الكلام إليه"[4]،وهذا الكره انقلب إلى حب امرأة أخرى إنها "وحيدة" المومس التي ما عاد يطيق صبرا على العيش بدونها،إنه حب مجنون دفعه للتفكير في طلبها للزواج فـ"إما أن يتزوج منها وإما أن يقتلها فينقذها"[5].لقد أمسى فاقد القدرة على السيطرة على نفسه عبدا لشهواته،يرى نفسه عبدا للشيطان يقول لـ"وحيدة":"أهو أنا دحمان أم شيطان(...) في بعض الأحيان أخال الشيطان هو زوجتي"[6].

"موهوب":رجل متعلم يطالع الكتب والجرائد ويكتب رسائل أمه لـ"عبد القادر"كما يقرؤها لها أيضا،إنه" أمين أسرار العائلة(...)،وربما يرجع ذلك إلى كونه لا يحسن في حياته غير الإنصات والصمت"[7]،أما حياته فلا بهجة فيها حياة تبدو تافهة بلا معنى.قبل زواجه كان يسكن غرفة مع

---

(1)- المصدر السابق،ص157.

(2) - المصدر نفسه،ص290.

(3) - المصدر نفسه،ص38.

(4)- المصدر نفسه،ص208.

(5)- المصدر نفسه ص،236.

(6)–المصدر نفسه،ص256.

(7)- المصدر نفسه،ص90.

إخوته،لكنه صار وحده "بعدما مات "حميطوش" وانتحر "عيسى" ورحل "عبد القادر" إلى الغربة في فرنسا"[1].

و"موهوب" محب لأمه يتفانى في طاعتها ورضاها كما يسهر على تمريضها حتى وفاتها. لقد أمضى أيامه مستنفرا ينام"بثيابه في فراشه قرب الباب،قضى الليل بأسره مستيقظا خشية أن يتدهور حالها أثناء نومه"[2].وعند موتها نجده يلقى نفسه على صدرها وتفيض عيناه بالدموع فـ"ارتمى على صدرها وجعل يبكي بكاء عاليا بقى الليل بكامله معها"[3]،وهو أيضا مشفق على زوجته الحامل وصارت محل عنايته واهتمامه،فأعفاها من أعمال البيت الشاقة "كما قام بغسل ملابسها عدة مرات"[4].

كان قبل زواجه يعاني أزمة نفسية بالغة،فقد أخفق في عديد من المرات إثبات فحولته،مما جعله يشك في رجولته،فلم يذق طعم المتعة "طوال السنوات الماضية من حياته القاحلة الخالية من الحب "[5]،فيتردد في الزواج، لكنه يقبله على مضض في ليلة عرسه يحاول الهروب من خوض التجربة إلى أي مكان بعيد كيلا تحتقره عروسه وتزدري النسوة أمه"فلا نجاة له سوى في الهروب من غير عودة إلى بلد بعيد من بلاد الدنيا،حيث لا أحد يعرفه ولا أحد يرغمه على الزواج حيث لا يتزوج الناس أصلا"[6].وبعد ما دخل معترك الحياة الزوجية ونتيجة الخلاف والشجار الدائم بين "دحمان" وزوجته،لم يجد للسعادة طعما في البيت، فطغي عليه التشاؤم وغزا الشيب رأسه وانقطع عن الناس

---

(1)- المصدر السابق،ص7.

(2-)المصدر نفسه،ص292.

(3)- المصدر نفسه،ص305،304.

(4) - المصدر نفسه،ص306.

(5)- المصدر نفسه،ص16.

(6) -المصدر نفسه،ص18.

و"خمدت في نفسه شهية الأكل والجماع وقراءة الجرائد كما ترددت عليه في كل ليلة أحلام الموت فكان عند استيقاظه من النوم كمن يبعث إلى الحياة بعد الوفاة."[1]

في رواية "**فتاوى زمن الموت**"نجد الشخصيات الآتية :

"زربوط": كان فتى من فتيان الحي طائشا قليل التربية ومحتالا وغدارا وكذابا وسراقا ومرتكبا للمنكر[2].لم يتجاوز في تعلمه المرحلة الابتدائية؛فكان موضع اشمئزاز المعلمين؛ولأن سلوكه في المدرسة لم يكن يختلف عنه في الحي،فإنه"لم يعرف إلا مدرسين حملوا له الكره في كل مرة" [3]. لقد دعاه المعلم بإبليس بعدما أدرك سوء أفعاله فـ"شد إلى ظهره ورقتين كبيرتين كتب في كل واحدة منها بخط بارز أنا إبليس،وأرغمه على أن يدور بهما عبر جميع الأقسام"[4].وبعد أن غزت موجه التقوى الحي لم يتخلف "زربوط" عنها،فصار داعيا الناس للإيمان،مقبلا على الصلاة، وتغير سلوكه تغيرا ملحوظا،يقول عنه "موح "(الراوي):"لقد أحسست آنذاك كما لو أني أخاطب شخصا آخر لا أعرفه"[5].لم يقف به الحد في دعوته الناس بالحكمة والموعظة واللين، بل أضحى يتدخل في شؤونهم ويحاسبهم على تصرفاتهم،ويبلغ جماعته وزعيمها "موسى" "بكل صغيرة وكبيرة تقع في الحي"[6].ولقد اشتد حماسه فبات ينتقم من الناس الذين لم يشايعوه بوضع القنابل في الأماكن العامة،ولم يسلم منه أهل حيه،كما لم ينج منه صديق طفولته "موح" إذ أطلق عليه الرصاص محاولا اغتياله،وهو متابع من الرجال الأمن يقول الملازم "بدر الدين"لـ"موح": "نحن نبحث عنه منذ مدة إنه خطير جدا"[7].

---

(1) –المصدر السابق،ص154.

(2) –ينظر :إبراهيم سعدي:فتاوى زمن الموت (رواية) ،مصدر سابق،ص7.

(3) –المصدر نفسه،ص9،10.

(4) –المصدر نفسه،ص11.

(5) –المصدر نفسه،ص34.

(6) –المصدر نفسه،ص108.

(7) –المصدر نفسه،ص121.

"موسى برهان":الأخ الوحيد لـ"موح" (الراوي)،كان يقيم معه في غرفة واحدة في سن الطفولة حتى الشباب،كما كان يعاني من مرض مزمن،عرف بشدة التدين،لم يتجاوز في تعلمه المرحلة الثانوية،ونتيجة تصوفه لا تراه إلا بملابس رثة،لا يحتك بالناس ويقول عنه أخوه "موح" : "لم يحدث أن رأيته يتكلم مع إنسان قط لقد بدالي في تلك الفترة (...)كما لو أنه كان يعيش خارج الزمان والمكان في عالم خاص"[1].

والظاهر أن مستوى "موسى" الثقافي المحدود وضيق أفقه وقلة احتكاكه بالناس جعل فكره متصلبا.و تدين "موسى" ارتبط في البداية بجماعة "الدعوة والتبليغ" تلك الجماعة الدينية النشطة المكونة من عناصر بسيطة المظهر والثقافة،وأما علاقته بجماعته فكانت تقوم على التوقير والإذعان،فهو مفتيها وشيخها وإمامها،وله كلمة الفصل في أمور الدين والدنيا،يكفر كل من خالفه الرأي نجده يقول لأخيه "موح" "أنا الحق وأنت الباطل."[2]

يمتاز "موسى" بهدوء طبعه فلا تسمع في صوته ما يدل على غضب أو حقد. تزوج "موسى" وأنجب بنتين وولدين،وانظم للحزب المنحل وكان عضوا نشيطا فيه وترشح للانتخابات النيابية عن حزبه،وفاز بمقعد،لكن النتائج ألغيت وحل الحزب،واقتيد موسى لمعتقلات الجنوب ثم أفرج عنه، لكنه استمر في ممارسة نشاطاته، فأفتى بقتل الكثير من الناس عثرت مصالح الأمن على قائمة بأسمائهم،قبل أن تحيله على المحكمة ليتم إعدامه يقول الملازم "بدر الدين" لـ"موح:"هل تعرف بأن الذي أفتى بذبحه (مسعود)هو أخوك؟لقد وجدنا عنده قائمة بأسماء الأشخاص الذين أفتى بقتلهم(...) وجدنا اسمك أنت أيضا في القائمة."[3]

---

(1) – المصدر السابق ، ص73.

(2) –المصدر نفسه ص110.

(3)– المصدر نفسه ، ص118.

"مسعود لعبيدي":و"مسعود" في الواقع شخصية مثالية يصف "عنتر" أخلاقه لـ"موسى" فيقول:"أنا أعرف "مسعود" حق المعرفة،لا أجد من يعرفه خيرا مني،إنه لا يكذب ولا يسرق ولا يخون."[1] ،وهو فتى هادئ الطبع يحترم الآخر،ويعتمد الحوار، ولا يحب العنف.كان رجلا متثقفا شغوفا بالمطالعة فـ"كان يقرأ كل ما يقع بين يديه وخصوصا كتب الفلسفة والأدب العالمي"[2].كما كان يكتب الشعر.و"مسعود" فصيح اللسان سريع البديهة قوي الحجة واسع الثقافة كثير الاطلاع، ناظر "موسى" فأفحمه يقول "موح":"وهكذا صرت أخشى على موسى من مسعود."[3] وما يلاحظ عليه هو خجله الزائد،وقلة احتكاكه بالناس وقلة أصدقائه،هو في الواقع شخصية ليبرالية إلى أبعد الحدود،أدمن ارتياد المواخير بعد أن عاش قصة حب فاشلة،ووجد في ذلك مسكنا لمواجعه،لم تؤثر فيه موجة التدين العارمة التي ضربت الحي وأصابت شبابه،كما أنه ما عاد يؤمن بالقيم الدينية والخلقية لمجتمعه،إذ تحولت إلى هاجس مريب ثم سرعان ما انهارت .يقول لصديقه "موح":"هل تعرف يا موح بأنني لم اعد أؤمن بالله..."[4].ومع ذلك فقد أسس لنفسه قيما خلقية وألزمها بها يقول :"وهكذا وجدت نفسي يا موح مرغما على بناء نظام أخلاقي خاص بي حتى لا أجن ولا أنحرف"[5].

وبعد مناظرته لـ"موسى" وإفشاء سره صار منبوذا في الحي خاصة من قبل الملتحين المهيمنين على الساحة،فـ"موسى" أفتى بقتله ودعا أخاه "موح" للابتعاد عنه فيقول له:"لا يجوز لك أن تتخذ من عدو الله صديقا لك.عليك يا موح أن تختار إما الله وإما الشيطان"[6].

لقد كانت نهايته موسى الذبح على أيدي المتشددين لإصراره على رأيه لقد "قتل ذبحا في بيته أمام والدته على الساعة الثانية عشر ليلا وذلك من طرف عنتر"[1].

---

(1) –المصدر السابق،ص،82.

(2) –المصدر نفسه،ص48.

(3) –المصدر نفسه،ص75.

(4) –المصدر نفسه،ص68.

(5) – المصدر نفسه،ص68.

(6) –المصدر نفسه،ص77.

"عنتر":وهو شاب من شباب الحي وصديق حميم للراوي "موح" و"مسعود"،ولا يكاد هؤلاء يفترقون إلا قليلا.لقبوه باسم "عنتر" لسواد بشرته، تعود أعداؤه وخاصة أبناء "عمار" بائع الخردة أن ينادوه في الحي بـ"عنتر الأعرج"،و"عنتر" هذا يجيد العزف على القيثارة،ويحسن أداء أغاني "عبد الحليم حافظ"،ويتطلع ليصير فنانا.و كان رقيق المشاعر مرهف الحس لدرجة أن دموعه كانت تنهمر عند أدائه لأغاني "عبد الحليم حافظ" .

في البداية أصر "عنتر" على موقفه من "موسى" وجماعته فلم ينقد لهم،وحافظ على صلته بـ"مسعود" فـ"كان الوحيد الذي لم يقطع صلته به."[2] كما قطعها بكل الذين نبذوا "مسعود"،لكنه في الأخير انظم لموسى ولجماعته ونفذ حكمه في "مسعود" وذبحه في منتصف الليل عند زيارته في بيته وأمام والدته،مستغلا في ذلك صداقتهما القديمة،لكن مصالح الأمن قبضت عليه في النهاية.

"موح":هو الشاهد الحاضر المشارك أحيانا في الحوادث،والراوي لأخبار سمعها عن الشخصيات الأخرى حينما يتعذر عليه حضورها،هو الأخ الوحيد الأصغر لـ"موسى"والأصغر منه بعامين، لكنه لا تربطه به أية رابطة في الفكر أو السلوك.لم تؤثر فيه الموجة الدعوية والإيمانية التي اجتاحت الحي، فـ"موح" تحرر إلى أبعد الحدود كصديقه "مسعود" و"عنتر" يقول:"لم يفهم أحد لماذا أراد القدر أن نكون أخوين(...) لم يكن هناك شيء آخر نشترك فيه."[3]

و"موح" يحترم أخاه "موسى" رغم خلافه الفكري معه ويعطف عليه بسبب مرضه الدائم،و"موح" خجول ومسالم وهادئ الطبع كما وصفته خوخة في مذاكراتها،ونتيجة هذا كله فترت علاقته بأخيه بداية من وفاة والديهما،و تكرست أكثر حينما لم يزره،ثم ما لبثت وانقطعت يقول موح:"ولعل الشيء الذي كرس القطيعة بيننا هو كوني لم أحضر لزيارته بعد خروجه من السجن"[4].

(1)–المصدر السابق،ص114.

(2)–المصدر نفسه،ص77.

(3)–المصدر نفسه،ص72.

(4)–المصدر السابق،ص117.

وفي المستشفى يدرك هول الفراغ الاجتماعي الذي هو فيه فيشعر بالغربة والوحدة القاتلة يقول:"لا أحد سأل عني أنا،اكتشفت في تلك الأيام درجة الوحدة التي بلغت لا أب لا أم ولا أخ ولا أخت لا زوجة ولا أولاد لا صديقة ولا صديق (...)،فقد وجدتني بعد ذلك أجهش باكيا."[1] و"موح" كتوم ويحافظ على أواصر الأخوّة والقرابة، فلم يبلغ رجال الأمن بأعمال أخيه "موسى" رغم علمه بتشدده،إلا أنه ظن بأن "موسى" ربما لم يأمر بهدر دمه،وأن الملازم "بدر الدين" افتعل ذلك حتى يحمله على التعاون مع مصالح الأمن.كما لم يشأ التبليغ عن صهر أخيه "موسى" المدعو "صالح صويلح" لأنه كان يفتقد الدليل على إثبات تورطه في الأعمال الإرهابية،لكنه أدرك في النهاية أن ثلاثة حاولوا اغتياله،وأولهم "زربوط" وثانيهم "جحا بن عمار" وثالثهم" صالح صويلح" وجميعهم من أبناء حيه.

وفي رواية"**بحثا عن آمال الغبريني**"نجد هذه الشخصيات :

"وناس خضراوي"(مصطفى نوري):رجل كهل من مدينة "البليدة" يعمل أستاذا جامعيا،لكنه فصل عن عمله أخيرا بسبب انقطاعه الطويل عنه بلا مبرر،ولبحثه الدائم عن طالبته السابقة "آمال الغبريني" "أصبحت الفنادق جزءا من حياته"[2].لم يعد يهتم بصحته وأصيب بمرض القلب،وهو دائم الغثيان يصاب بالدوار كلما أكثر الحركة،لا يأكل إلا قليلا،ويتقيأ كل ما أكل في ما بعد، والظاهر أن معتقده الديني هو المسيحية ذلك أنه كان يقرأ في كل مرة "إنجيل متى" الذي كان مفتونا به"[3]،والظاهر أنه بعد كل هذا العمر لم يتزوج قط،كان منهمكا في البحث عن طالبته "آمال الغبريني" والتي أدرك أخيرا أنه يحبها بعد أن فقدها، وبعد مغالبة عواطفه التي لم يتبين حقيقتها، وقد طلب عطلة سنة غير مدفوعة الأجر ليتفرغ فيها للبحث عن طالبته.المحيطون به ظنوا أنه

[1]-المصدر نفسه،ص132.

[2]-إبراهيم سعدي:بحثا عن آمال الغبريني(رواية)،مصدر سابق،ص20.

[3]-المصدر السابق،ص22.

طلبها للهروب إلى الخارج،أو الاختفاء خوفا من سوء الأوضاع الأمنية التي راح ضحيتها مثقفون يقول "المهدي":"سأذهب إلى أية بقعة من العالم إذا استطعت.

– بحثا عنه؟

– برأسه أومأ الغريب أن نعم."[1].

وبالرغم من المرض أصر على هدفه للعثور على "آمال الغبريني" أو يهلك دون ذلك.فنداء العقل يدعوه للتخلي عن البحث،حتى لا يترك نفسه يموت ذليلا في سبيل "آمال الغبريني" و"عليه صيانة كرامته والتسليم بأنه لن يعثر عليها قط"[2] .

كان "وناس خضراوي" يسكن حيا واحدا مع "آمال الغبريني" في عمارتين غير بعيدتين،وكان متعلقا بطالبته،لكنه لم يدرك طبيعة ذلك الشغف إلا أخيرا،كل ذلك جعله حائرا مهموما حزينا بسبب فقد "آمال" لقد أضاعها وأضاع نفسه بسبب حبه لها،في كل مرة يذكرها يعود إليه الإحساس المرير بأنه لن يكتب له لقاء آمال مرة أخرى،بأنه سيموت دون أن يراها ملاحظا لأول مرة بينه وبين نفسه بأنه لم يفعل في الواقع كل ما يجب الاحتفاظ بها،وبأنه لم يكن أنانيا بالقدر الكافي(...) من غير أن يفكر في نفسه قط وهكذا ضيعها إلى الأبد،وهكذا أيضا سيموت بحثا عنها "[3].

"المهدي المغراني":هو رجل من الشمال الجزائري وبالضبط من "الحراش "وهو أيضا انعزالي يتجنب الناس،لكنه ينجذب نحو "وناس خضراوي" ويحس بأنه ليس غريبا عنه.له موهبة الكتابة فقرر كتابة سيرة "آمال الغبريني" وشرع يخطها لكنه لا يملك كل المعلومات المتعلقة بها.

كان موظفا لكنه تخلى عن وظيفته تحت طائلة التهديد الإرهابي،إذ تلقى رسائل تهديد بالقتل، وأكدتها له مكالمات هاتفية مجهولة المصدر،فيفر بسيارته "الدايو" إلى الجنوب ويقيم في مدينة

---

[1]–المصدر نفسه،ص50.

[2]–المصدر نفسه،ص103.

[3] – المصدر السابق ص،164.

جزائرية صحراوية متاخمة لدول الساحل الإفريقي،فيحل بفندق الجنوب ويبيع سيارته ليعيش بثمنها، إنه بلا زواج وبلا أسرة وبلا عمل،وكان بإمكانه تحمل تلك الحياة في هذه المدينة كل العمر لو بقيت "آمال" فيها، لكنها رحلت من غير أن تعلمه برحيلها ف"هذه الحياة التي صار يقضيها لا معنى لها اللهم إلا من حيث أنها تسمح له بالاستمرار في العيش(...)،لكن شعر كما لو أنه يموت بطريقة ما بطريقة غير محسوسة وبطيئة جدا"[1].

كان على صلة بـ"آمال الغبريني" وأقام معها مدة في فندق الجنوب، ورافقها في كثير من رحلاتها للصحراء، لكنها رحلت دون أن تودّعه أو تخبره برحيلها، لقد تعلق بها، وأدرك أنه صار يحبها خاصة بعد مجيء منافسه "وناس خضراوي" للبحث عنها، ومعرفته بالسر الذي يخبئه جعله يغار منه،لذلك يدفع به لمجاهل الصحراء دفعا للموت كيلا ينافسه في حبها لـ"إنهما مريضين* بنفس المرأة"[2].

و"المهدي" يدخن السجائر والحشيش ويشرب الخمر،و يتعاطى الكوكايين بسبب ظروفه المزرية، ويعيش حال يأس من وضعه وكل حياته ف"داخل جسمه يحس بأنه يشغل مكانا ليس له،يخيل له بأنه لن يجد لنفسه مكانا أينما ذهب،وبأن العدم هو العالم الذي خلق من أجله"[3].يعرض عليه "وناس خضراوي" الزواج من "هدى" أخت "موح شريف" ،فيرفض فكرة الزواج ربما لتعلقه بـ"آمال" أو بسبب سوء وضعه الاجتماعي والمادي فيقول:"كيف تريدني أن أتزوج وناس وأنا متشرد بلا عمل ومحكوم علي بالموت"[4].لكن "المهدي" ينتصر في النهاية على وضعه وخوفه ويقرر فجأة العودة

---

(1)- المصدر نفسه،ص،56.

(2)- المصدر نفسه ، ص 194،والصواب مريضان

(3)-المصدر السابق،ص83،84.

(4)- المصدر نفسه،ص149.

للشمال فـ"علاقة قراره بخبر موت وناس أمر لا ريب فيه"[1]وأعتقد أنه فعل ذلك للبحث عن "آمال الغبريني".

"موح شريف": شاب من أهل البلد غير متزوج، يعمل في مصلحة الاستقبال بفندق الجنوب ويقيم في مسكنه العتيق مع أمه وأخته "هدى ".

وطبيعة عمله جعلته يتعامل مع كل الناس،كما أن ظروف الفتنة جعلته قليل الكلام متحفظا كتوما "فأصبح مثل مخطوط مكتوب بلغة مجهولة."[2] والظاهر أنه وقع في حب "آمال الغبريني" فلا يبوح بما يعرفه لـ"وناس خضراوي" ويعزم على إبعاده عنها بدعوته لمنزله،ليمكنه من رؤية أخته "هدى " الفتاة البارعة الجمال لعلها تنسيه "آمال" وحينما يفشل مسعاه يصر على التكتم على إخبارها،ولم يُظهر ما يدل على ما إذا كان يكن لها حبا[3]،فيندفع "وناس خضراوي" للبحث عنها في مالي وها هو ذا يعترف لـ"لمهدي" بذلك قائلا:" كان بوسعي إنقاذ حياته."[4]

"موديبو براراتوري":وهذا الرجل مهرب مالي ، يتاجر بالمخدرات ويهرب البشر إلى الجزائر ويتاجر بأعراض النساء وبالوثائق المزورة، من عادته الغياب أحيانا لمدة شهر أو أكثر لكنه يعود إلى الظهور مجددا [5].

في رواية "**بوح الرجل القادم من الظلام**"نجد الشخصيات الآتية:

"منصور":طفل وحيد كان في الثانية عشرة من عمره،يوليه والداه الرعاية والحنان ويعتقدان أنه بحاجة ماسة للحماية،لأنه بلا إخوة يدافعون عنه عند مشاداته مع أطفال الحي وأبناء الجيران. فوالده يعتبره مظلوما في كل حال ووالدته تراه ملاكا.يشعر منصور بالقلق لأنه وحيد في أسرته لا

([1])– المصدر نفسه،ص250.
([2])– المصدر نفسه،ص13.
([3]) – ينظر:المصدر نفسه،ص234،235،240.
([4]) – المصدر نفسه،ص237.
([5])– ينظر:المصدر السابق ص،106،217.

إخوة له يؤنسونه،لم يعلّمه والداه شيئا عن القيم الدينية والخلقية عدا صيام رمضان.تظهر ملامح النضج المبكر على الطفل "منصور" فيبدو رجلا وهو في الثانية عشرة من عمره،فضحك زملائه من خشونة صوته يسبب له معاناة تجعله ينفر من سخريتهم وينعزل عن المدرسة،ويكره دروسها مع أنه كان الأول دائما،لكنه مع هذا يشعر بالانجذاب نحو المعلمة السيدة"كلير ريديمان"،كما يشعر "منصور" بالاختلاف عن أقرانه من الأطفال،فهم يلعبون ويمرحون ويتشاجرون ويشاغبون،أما هو فيختلس النظر إلى النساء ويحلم بمواقعتهن في خلوته،لذلك يشعر بأنه تحول إلى رجل بل إلى وحش مع رغبته في أن يكون طفلا بريئا،ومع ذلك انتهت خصوماته مع أبناء الحي ومال إلى العزلة والصمت لانقطاع صلته بعالم الطفولة والبراءة.تظهر مشاعره اللئيمة نحو النساء مفعمة بالشوق،وخاصة مع "نصيره" أخت صديقه "شريف خندق" مخجلة يقول:"كنت أيضا أحب الذهاب إلى دار شريف خندق،لكن للأسف ليس لمجرد التمتع بثمار أشجاره أو بفنائه الواسع الهادئ لكن لرؤية أخته نصيرة(...)،لم أحس في يوم من الأيام بالحاجة إلى إخفاء أي شيء مما حل بي عدا ما كان يجيش في صدري من نوايا لئيمة ومشاعر مخجلة"[1] .

ونساء الحارة يدركن بفراستهن أن "منصور" قد بلغ مبلغ الرجال، فحين زيارتهن لوالدته كنّ يحتجبن عنه ويخفضن أصواتهن كلما لقينه في البيت أو في أزقة الحارة،تماما كما يفعلن مع الرجال.وصار منصور يكره الحارة بسبب تغيرات المراهقة المبكرة التي قضت على طفولته فأمسى يعامل معاملة الرجال .

وفي ثانوية "فكتور هيجو""victor huguo" بـ"حسين داي" صار "منصور" يحس بالعزلة لإعراض زملائه وزميلاته عنه خلال حرب التحرير بسبب مظهره يقول:"حدث مرات عديدة وأن فتش الناظر

([1])– إبراهيم سعدي:بوح الرجل القادم من الظلام (رواية)، مصدر سابق ،ص15.

وحتى الأساتذة أحيانا محفظتي،خاصة في الفترة التي كانت تنفجر فيها القنابل في أماكن تجمع الأقدام السوداء أثناء معركة العاصمة"[1] .

و لا يتورع في الإقبال على المحرمات فمعلمته السابقة السيدة "كلير ريديمان" المطلقة تستضيفه في بيتها فيرافقها طوال النهار،ويقضي الليل معها فيسكر ويأكل لحم الخنزير ويزني، ولهذا يدعوها للبقاء في الجزائر بدل الرحيل يقول:"في ذلك اليوم أيضا غرقنا في الجنس طوال الليل شربنا الخمر وأكلنا لحم الخنزير وفعلنا كل ما نهانا الله عنه،في تلك الليلة وحدها قمنا بما يكفي لنخلد في نار جهنم"[2].ولم يعد "منصور" يكن لوالدته نصيبا من الحب أو الاحترام،بعدما تركت زيها المحلي وظهرت بالزي الأوربي بارتدائها لملابس السيدة "كلير ريدمان"يقول:" لست أدري لماذا تظلم الدنيا أمامي حين أراها لابسة ثياب معلمتي هذه المرة أيضا لم يمكنني إلا أن أحس بالاحتقار لها* وبغثيان مشوب بشعور بالعار "[3].

لم يجرؤ "منصور" على مواجهته نفسه ،فلا يملك إلا الهرب خوفا مما اقترفه؛ لذلك يشعر بأنه مهدد بالموت في كل لحظة مدى حياته، ولا يعتبر نفسه قادرا على مواجهة أي مشكل طارئ في أي ظرف يقول عن نفسه :"لم أكن بطلا في يوم من الأيام "[4]،ويستمر الشعور بالخوف والرعب والقلق يطارد منصور،بل إنه يتوجس شرا يحدث له في أي لحظة.تظهر سلبية "منصور" كذلك عندما يلتقي بـ"مسعودة" المطلقة برفقة طفلها الذي كانت قد أنجبته سفاحا منه بعدما فرت من بيت أسرتها خوفا من الفضيحة،فيختبئ مرة ويفر ويتركهما يواجهان مصيرهما البائس .تقول له "مسعودة" الشحاذة من غير أن تخفي وجهها :"تتركنا هنا أنا وابنك منصور.ابتعدت خطوات أخرى أطلقت

([1]) – المصدر نفسه،ص35.

([2])- المصدر نفسه،ص 60.

([3]) – المصدر نفسه،ص76.وفي العبارة ركاكة.. *والأصح باحتقارها.

([4])- المصدر السابق، ص97.

ساقي للريح(...)"(1).و يشعر "منصور" بخذلانه لوالديه كذلك لما سافر إلى فرنسا لغرض الدراسة وتركهما وحيدين،ومع أنه تحرر من الشعور بمطاردة الآخرين لكن بات يشعر بمطاردة ذاته له.

في فرنسا صار "منصور" طالبا للطب ،يبدو هناك دائم الكآبة يحس بالحزن باستمرار كلما كان مع "نسرين شيراز" لأنها تذكره بـ"زكية" وأنها صارت ماضيه الذي يطارده بعدما تخلص منه، يرى نفسه إنسانا بائسا، بل ويمتنع عن الاتصال مجددا بالسيدة "كلير ريدمان" اثر لقائها في فرنسا بعد سنين خوفا من تجدد مطاردة ذكريات الماضي له فيحاول الهروب منها بالإكثار من شرب الجعة.و"منصور" في نظر"سيلين" برجوازي بعقليته الصغيرة، ورجعي لا يملك تكوينا سياسيا يؤهله للمشاركة في النشاطات السياسية، فتلقن "منصور" تكوينا سياسيا ماركسيا وتعلمه فكر ""ماركس" و"لينين" و"تروتسكي" و"روزا لكسمبورغ""(2) .

يغادر "منصور" باريس بعدما تلقى خبر قتل أبيه لامه، فيصل ليلا ويغمر الحزن قلبه ولا يصدق الخبر وهو أمام عتبة باب بيت أسرته يقول:" أحسست بأنني غارق في ظلام لا قرارة له، ظلام الليل وظلام نفسي، شعرت بأن بيتنا تحوّل إلى قبر موحش رهيب"(3) .

بات "منصور" مشردا كالكلاب بلا أسرة وبلا بيت، يقضي ليله متألما هاربا من نفسه، متنقلا في شوارع العاصمة بلا هدف، يؤلمه حاله وما فعله أبوه يقول:" وأبقى أسير بلا توقف بلا هدف وحيدا وسط الصمت والظلام والوحشة، تلاحقني جريمة أبي"(4) .

كما صار بحاجة ماسة للمال، ودفعه ذلك للقبول بأي وظيفة، فكانت وظيفته الأولى مترجما من الفرنسية إلى العربية في جريدة وطنية،وأضحى منعزلا عن الناس وبلا هدف في الحياة بلا أسرة أو بيت .

---

(1)-المصدر نفسه ، ص117.

(2)- المصدر نفسه، ص143.

(3)- المصدر السابق ، ص176.

(4)- المصدر نفسه ، ص179.

تلقى "منصور" رسالة "سيلين" فزادت آلامه حينما تخبره بقرارها بالانتحار، فيحاول أن يبرأ نفسه من اتخاذها ذلك القرار، ومع ذلك يرى نفسه ملعونا تسبب في أذى وموت كل من ارتبط به ويحاول أن يحمل والده نصيبا من مسؤولية تدهور وسوء أوضاع حياته، فينقطع إلى الخمارات للسكر هروبا من نفسه ومن جحيم حياته[1].

يرى "منصور" حلما فيحدث هزة في حياته وتنتظم أحواله وتنقلب من انتكاس إلى تحسن يقول: "هذا التغيير الذي حدث في حياتي كان بكل بساطة نتيجة هذا الحلم(...) إنني فقط كنت بحاجة إلى من يمد لي يده لمساعدتي، فلم أجد غير الله، فمنذ تلك الأيام بدأت أتردد على مسجد الحي"[2] ويعيش "منصور" العزلة في حيه وبيته حتى حصوله على الدكتوراه في الطب، يتصل بـ"صالح الغمري" (صديقه القديم) المسؤول عن مصلحة الموظفين بوزارة الصحة، ليعينه طبيبا في أشد و أقسى مناطق الجزائر، تنفيذا للعهد الذي عاهد عليه الله في حلمه، فكان له ذلك في مدينة "عين..."، ويعمل الدكتور "منصور" طبيبا في مستشفى عمومي بتلك المدينة. وما فتئت الأحلام والذكريات المؤلمة تتردد عليه، من قتل والده لامه وموته،وانتحار "سيلين"، وهو لا يستطيع أن ينساها أو التخلص منها يقول:"أحس بأن الألم لا يزال هو نفسه ،بأن سيلين تأبى أن تموت، بأن الزمن يمر وهي لا تزال تتنفس وتعيش في داخلي ،لن أستطيع الهرب من نفسي قط في يوم من الأيام"[3].كان يرى نفسه في منامه مطاردا دائما من مقتصين،ويرى نفسه أيضا وحشا بشريا ويصر على مجاهدة شهواته وكبتها، ويرى في نفسه دائما لعنة تحل بكل امرأة أحبته أو اتصلت به يقول:"أحسست بأنني عدت ذلك المخلوق التعس الملعون الذي لا يعرف سوى أن يمنح العذاب والموت"[4].

---

(1)- ينظر : المصدر نفسه ، ص210،211.
(2) – المصدر نفسه ص،222.
(3) – المصدر السابق ، ص 249.
(4) – المصدر نفسه ، ص 257.

و"منصور" في نظر الناس في مدينة "عين ..." ،وخاصة أولئك الذين أقام علاقة بهم، كالشيخ "مبروك" (الإمام الضرير)، وعائلة زوجته "ضاوية"،رجل غريب لا أهل له. وإن جهلهم لحقيقته فتح الأمل له ليبدأ حياته معهم من جديد ،فزاده ذلك عذابا في نفس الوقت أيضا، لأنه لم يستطيع أن يكشف لهم سره وخاصة للشيخ "مبروك" يقول:"في تلك اللحظات أحسست أنني وجدت قوما يقبلونني قوما يفتحون لي قلوبهم، يغضون الطرف عن كوني لم آت لهم إلا بنفسي، أي غريب. مجهول وبلا أهل، كل ذلك كان يزيد من عذابي(...) الندم على كوني لم أجروء على البوح بحياتي للشيخ مبروك اشتد أكثر من أي وقت مضي"[1] .

حاول الدكتور الحاج "منصور نعمان" أن يطهر نفسه من الذنوب التي يشعر بأنها تثقل كاهلة ففاضت عيناه بالدموع أول مرة أمام المصلين، وهو يحكي للإمام جانبا من حياته يقول:"كنت في جامع السنة أروي فصولا من حياتي للإمام الضرير الشيخ "مبروك" ،في لحظة من اللحظات انفجرت باكيا، في ذلك اليوم أدرك الناس أن روحي مريضة ومعذبة(...) في ذلك اليوم نصحني الإمام الضرير بأن اتصل بالصوفي سعيد الحفناوي"[2]

يشعر الدكتور الحاج "منصور نعمان" وهو يرتاد الصحراء قاصدا الصوفي "سعيد الحفناوي" براحة نفسية تغمره، فلا قلق ولا خوف "يحس المرء وهو يغوص في أعماق هذه الأماكن الجدباء كما لو أنه خلّف وراءه الدنيا بأسرها"[3].

وفي الوقت الذي زار فيه الصوفي "سعيد الحفناوي" في قبته بالصحراء للتبرك، أدرك طريق الخلاص الذي ظل يبحث عنه في حياته، يقول الدكتور الحاج "منصور نعمان":"لقد كان هذا الرجل

(1) – المصدر نفسه ، ص 258.
(2) – المصدر السابق ،ص 238.
(3) – المصدر نفسه،ص 315.

الذي أرسلني إليه الشيخ "مبروك" للشفاء تماما كما وصفه لي صادق الأحدب، أحسست بالاطمئنان يغمرني أنا أيضا من أول نظرة إليه متمنيا أن أبقى معه واتبعه"[1].

للدكتور "منصور" سبعة أبناء ذكور من زوجاته وبنت وكل أبنائه لا يعشون معه عدا "عبد الواحد"، عاشوا مع أمهاتهم المطلقات في بيوت أخرى ولا تربطه بهم أواصر مودة قوية فلا يزورنه، ويشعر في كل مرة بأنهم يكرهونه يقول لأبنائه:"لماذا لا أحد منكم يزورني في بيتي، لماذا لا أسمع منكم قط كلمة أبي؟لماذا تتجنبونني حتى في الجنازات"[2] وتبرز سلبية الدكتور الحاج "منصور نعمان" حينما أوشك أن يقر لضابط الشرطة في مركز الأمن بشفتيه انسياقه وراء شهواته بدل أداء واجبه الوطني، كغيره من الشبان من في مثل سنه يقول:"وللحظة أوشك أن أضيف له، بينما كان الثوار يحاربون من أجل تحرير البلاد ويضحون بالنفس والنفيس كنت أنا ألهث وراء النساء"[3].

يحظى الدكتور منصور في مدينة "عين ..." باحترام أهلها . مع تحفظ المنفيين فيها. لاعتقاد الناس أنه نفي لأسباب سياسية فالشائع أنه نفي لـ "عين... " لانتمائه للإخوان المسلمين والبعض يرون فيه مخبرا سريا، ولا بد من الحيطة في التعامل معه يقول عن "فارح قادري" و"جمال بقة" : "انتابني شعور أليم بأنهما يحسباني من حركة الإخوان المسلمين ،أو على العكس عميلا لأجهزة الأمن السري، مع ذلك كنت متفهما تحفظ المنفيين عامة فيما يتعلق بحقيقتي بسبب منظري من جهة،وبسبب كتماني دائما سر قدومي إلى عين ..."[4].

وأخيرا يمكن القول أن الدكتور الحاج "منصور نعمان" رجل حي الضمير يحاسب نفسه في كل صغيرة وكبيرة، ويرى في نفسه شرا لا بد أن يقاوم حتى النهاية وذلك بإصلاح نفسه وتهذيبها تقول عنه زوجته "ضاوية":"أظن أن الحاج هو كالملاك الذي ظل طريقه فوجد نفسه يرتكب الشر مما

(1)- المصدر نفسه ،ص 324.
(2)- المصدر نفسه،ص 236
(3) –المصدر السابق ،ص147.
(4) – المصدر نفسه ، ص 280.

جعله يسعى طول حياته من أجل العودة إلى طبيعته الحقيقية كان لقاؤه بالصوفي سعيد الحفناوي آخر محاولة له من أجل تحقيق هذا الغرض، قبل أن أعرض عليه تأليف كتاب للتخلص من ذكرياته"[1].

"عبد اللطيف":هو أخو "ضاوية"، بعد زواجها من الدكتور "منصور" صار يعيش مع أبيه وحيدين.و"عبد اللطيف" طالب في السنة الثالثة ثانوي كان مزعجا في سنوات مراهقته، لكنه بعدها صار هادئا رزينا قليل الكلام .وبعد وفاة والده صار يختلي بنفسه مع مجموعة من الغرباء. و كان لا يقبل إعانات صهره المادية والمعنوية يقول عنه "الدكتور الحاج منصور نعمان":"وجدته أنا أيضا في اجتماع هناك مع الغرباء ،شيئا فشيئا حول "عبد اللطيف" البيت إلى مكان لاجتماعات سرية(...)، كان يرفض باستمرار معوناتي المالية(...)،عرضت عليه كذلك أن أبحث له عن عمل في المستشفى، لكن شعرت كما لو أنه اعتبر ذلك نوعا من الاهانة"[2] ينقلب على الناس فيثور فيهم وينتقد سلوكهم و يكفرهم، وبدأ بأساتذته فـ"سبهم جميعا ،كفرهم عن بكرة أبيهم"[3].

أما علاقته بـ"الحاج منصور نعمان" وبأبنائه، فالظاهر أنه لم يبد لهم أي شكل من أشكال العداء، كما لم تكن بينهم علاقات متبادلة يقول "الدكتور الحاج منصور نعمان" :"كره عبد اللطيف لهم كان على الدوام صامتا خفيا ،لم يحدث ولا مرة أن عبّر عنه كره حزين ساكن كنار هادئة بلا عنف أو صخب أو قسوة"[4].

ينظم "عبد اللطيف" لصفوف "الجبهة الإسلامية" ليصبح عضوا نشيطا فيها، ثم يصبح قائد مجموعة إرهابية في ما بعد، ويدعى الأمير "أبو أسامة"، وعلى يده انتشر الرعب والموت في المدينة، ولا يتواني في ذبح الأطفال والعجائز، ولذلك صار مطلوبا من مصالح الأمن وعلقت ملصقات صوره

(1)- المصدر نفسه، ص 336.
(2)- المصدر السابق ،ص 31.
(3)- المصدر نفسه ، ص 274.
(4)- المصدر نفسه ، ص 287.

في كل مكان، ورصدت جوائز مالية لمن يدل عليه،و"عبد اللطيف" متصلب لا يرحم حتى أقاربه، لقد حكم على ابن أخته "الهاشمي" بالإعدام، كما ذبح الشيخ الضرير الإمام "مبروك" شيخ مسجد السنة بعد ما تظاهر بمساعدته للوصول إلى بيته.

"حميدة رمان": مناضل نقابي جاد ،اعتقلته السلطة لمساهمته في حوادث 8أكتوبر وهو من المنفيين لمدينة "عين..."منذ خمس سنوات،يعمل أستاذا للفلسفة في التعليم الثانوي، يبدو من مظهره رجلا فقيرا رث الثياب، يحمل محفظة بالية ويدخن سجائر "أفراز" الرديئة والرخيصة. ومع ذلك يتقشف في تدخينها،يحسن للفقراء ويعطف على الحيوان، وهذا الوضع جعله لا يملك سكنا ولا أسرة، مما دفعه لاكتراء محل لبيع المواد الغذائية كي يقيم ويقتضي به ليله. اتهمه عبد اللطيف بالزندقة[1].

"جمال بقة": كان يعمل صحافيا في القسم الوطني لصحيفة وطنية بالعاصمة ،لكنه نفي إلى مدينة "عين..." لمحاولته نشر ملف فساد يتعلق باختلاس أموال مؤسسة عمومية .

"فارح قادري" : شاعر نفي إلى مدينة "عين..." بسبب معارضته للفاسدين المتنفذين في النظام وله "قصيدة طويلة يهجو فيها مسؤولا سطا على شاطئ محولا إياه إلى ملكية خاصة"[2].

يشعر كل واحد منهم بالتذمر في منفاه، واليأس من الحياة بعد محاولات عديدة للعودة إلى العاصمة ليحيوا حياتهم الطبيعية، لكن بدون جدوى، وظل كل واحد منهم يقول للآخر كلما لقيه وسأله عن حاله:"أرجوك لا تحدثني عن الموضوع ،لا تذكرني به،لن أقوم بأي محاولة أخرى أعرف بأنني سأبقي في هذا الصقع حتى ينخرني السوس ويأكلني الدود"[3].

"صالح الغمري": طفل يسكن الحي المجاور لحي "منصور" تربطهما صداقة عادية اتصفت بالهدوء لخلوها من الحوادث،لكنها عمرت طويلا.ويشغل "صالح الغمري" في كبره منصب مسؤول عن

(1)– ينظر : المصدر السابق ،ص271،272،273،297،298،270.

(2) – المصدر نفسه ، ،ص 278

(3)– المصدر نفسه 282

مصلحة الموظفين في وزارة الصحة، وهو أيضا عميل مخابرات يحرر تقارير في الموظفين بمصلحته، فحينما زاره "منصور" في مكتبه وطلب مساعدته ،نصحه بأن تكون تهمته الانتماء لتنظيم سياسي إسلامي يقول له:"لا تقلق هذا شأني سأكتب تقريرا أقول فيه إنك تنتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين(...)لا تقلق "منصور" طبيب ينتمي إلى حركة الإخوان المسلمين تهمة كافية جدا"[1].

"سعيد الحفناوي":هو رجل صوفي عاش يتيم الأب وخاض تجربة المحبين، فانقطع لبلوغ مقام الأولياء والأصفياء، فانعزل عن الناس، وتنسك في قبة بالصحراء بعيدا عن مدينة "عين..." التي لم يزرها إلا لحضور جنازة والدته، انقطع عن ملذات الحياة الدنيا، فلم يتزوج رغم أنه كان يملك متاع الحياة ،لقد "أعطاه الله كل شيء حتى يختبر حبه أعطى له الدنيا في طبق من ذهب(...)فلم يكسب ولم يرث ولم يتزوج"[2]،فجاهد نفسه ليبلغ أعلى مقام لا يبلغه إلا القليلون والكثيرون يهلكون دونه و"سعيد الحفناوي" قد بلغ بعمله "مرحلة الوجد والفناء في ذات الله مرحلة السعادة الربانية التي لا يصل إليها إلا المخيرون من العباد"[3]. يمتلك "سعيد الحفناوي" قوة روحية هادئة مؤثرة جاذبة لكل من يتصل به "قوة ما، يصعب وصفها قوة هادئة مسالمة وعميقة ظلت تنبعث منه قوة روحية بالتأكيد"[4].

"الهاشمي سليماني":هو اسم روائي مستعار لشخصية كما تخبرنا بذلك الرواية منذ بدايتها، وهو الذي أحضر مذكرات زوج خالته المرحوم "الدكتور الحاج منصور نعمان "للناشر بعدما عثر عليها وأصر على نشرها كما هي مع تبديل الأسماء.

---

(1) – المصدر نفسه، ص 231،232.
(2) – المصدر السابق، ص317.
(3)– المصدر نفسه ،ص 318.
(4) – المصدر نفسه ، ص 324.

وهو "ابن رانجا" المطلقة أخت "ضاوية" زوجة" الدكتور الحاج منصور نعمان" عرف بالعمل في الفن التشكيلي، وصار مهددا بالقتل من خاله "عبد اللطيف" (أبو أسامة)، فانقطع عن فنه، و بسبب الذعر الذي أصابه صارت يده ترتجف كلما أمسك بالريشة، يحب فنه و ينتابه حزن عارم حينما رأى لوحاته مدمرة في بيت "الحاج منصور نعمان" من طرف رجال الأمن، فيتقدم نحوها كمن يتقدم نحو قبر، أو كمن يتلمس جثة مخلوق عزيز عليه، و يضطره التهديد إلى مغادرة أرض الوطن ولا يظهر إلا بعد انقضاء المأساة وبصورة مزرية للغاية.

2-**النساء:**

في رواية " **المرفوضون**" تظهر"ماري" تعاني أزمة نفسية واجتماعية حادة، فمقتل زوجها "برنار" وحبها الشديد له جعلها تكره الإنسان العربي ،ولم يبق لها من مؤنس في الحياة سوى رسائل "برنار"، لأنها صارت تمثل ذكرى عزيزة عليها تقول لصديقتها" لينا": "لم يبق لي من برنار سوى هذه الرسائل... لقد ترك روحه فيها"[1] .وحالة اليأس والفراغ التي صارت تعانيها دفعتها إلى كره الحياة، وإلى التفكير في الانتحار، والاعتقاد بأن الله صار يكرهها تقول "لّلينا":"لقد مللت هذه الحياة ... سأقتل نفسي ذات يوم ... إن الرب لا يحبني "[2] .وقد كانت تحلم ذات يوم وبعد وفاة "برنار" أن يتغير مجرى حياتها، فينقلب حزنها إلى مسرة ،ويكون ذلك على يد "جان" فيحل مكانه. إن حبها لـ"جان" وتفكيرها فيه بعد مقتل "برنار" أدركته صديقتها "لينا" بالرغم من محاولة إخفائه عليها" لقد حلمت في فترة ما من حياتها بأن أحدا قد يأتي ليحتله، وكانت تفكر بالخصوص في جان ،غير أن أملها لم يتحقق"[3] .

---

(1) – إبراهيم سعدي ، المرفوضون (رواية) ، مصدر سابق ، ص52.

(2) – المصدر نفسه ، ص41.

(3) – المصدر نفسه ، ص140.

"السيدة سوزان": وهي مسيرة المبنى الذي يسكن "أحمد" غرفة فيه، تتعاطف مع "أحمد" وترفض في البداية محاولة "ماري" غوايتها وتحريضها فـ"رفضت طرد أحمد من غرفته "[1] .حينما تكون غاضبة تتغير ملامح وجهها الذي يستثير كل مشاعر الود إلى وجهه مكفهر قاس منقبض الأسارير مكدر المنظر"هذا الوجه الذي يخلو من أي أثر للرحمة لم يعرفه للسيدة سوزان من قبل"[2].

و"المومس كاترين": امرأة اضطرتها ظروف حياتها لممارسة البغاء و الاستمرار فيه بالرغم من تقدم سنها، لقد تخلى عنها زوجها بلا مبرر بعد ما أحبته وأعطته أعز ما تملك ،وأنجبت له طفلا وحافظت على شرفه تقول لـ"أحمد" بعد أن تعرفت إليه فباحت له في ساعة صفاء بمكنون نفسها وخلجات قلبها وكشفت له عن مقتها لذلك الزوج اللئيم :"لقد كان لي أيضا زوج ...ليذهب إلى الجحيم ذلك الرجل (...) لقد تزوجنا وأنجبت له طفلا (...) وذات يوم تركني بدون سبب (...) لقد كنت آنذاك امرأة محترمة (...) لم أخنه ولو مرة واحدة وقد أحببته حبا جما"[3]، أما طفلها فقد كرهته، كما كرهت حياتها لأنه تخلى عنها بعد أن كبر تقول: "عندما كبر الطفل تركني هو بدوره(...) لقد كان يحس بالعار بسبب أمه المومس (...) إني أكرهه كالموت"[4] .

و"كاترين" تستفسر عن سر معانتها وعذابها لأجل هذا لا تحب الماضي المؤلم تقول:"إنني أمقت التفكير في الماضي ،فماذا جنيت الهي حتى استحق هذا العذاب"[5] ، ومع ذلك فهي متكبرة

---

[1] – المصدر نفسه ، ص95.

[2] – المصدر نفسه ، ص 103.

[3] –المصدرالسابق، ص115.

[4] –المصدر نفسه ،ص 119.

[5] –المصدر نفسه ، ص119.

وعنصرية، فها هي تتباهى على "أحمد" حينما رأت مسكنه وتعيره فتقول له: "أنا مومس وأحسن منك ألف مرة(...)لو رأيت غرفتي وحدها لخجلت من نفسك "[1].

و ضغوط حياتها النفسية والاجتماعية تجعلها لا تتردد في الانتحار تقول لـ"أحمد": "أسكن الآن في عمارة من العمارات، لا تندهش إذا سمعت يوما بأنني ألقيت بنفسي من الطابق الذي أسكن فيه"[2].

في رواية "**النخر**" يظهر التكوين الاجتماعي والنفسي للشخصيات كما يلي:

"فاطمة":هي زوجة "دحمان" وأم أطفاله الستة، كانت قبل زواجها دائمة الخلاف مع أمها إلى حد الشجار، وبسبب نضوجها المبكر وجمالها الخارق كان أبوها دائم القلق لأنها كانت تجلب الأنظار أينما حلت فأراد كما قالت:"أن يحبسني في البيت يغلق علي وأنا في الثالثة عشرة*من عمري"[3]، وهي متعلمة ومتحصله على شهادة الأهلية وزاولت تعليمها حتى السنة الثانية، و لقد عمل والدها على قهرها فأوقفها عن الدراسة أيضا تقول:"كنت سأنجح بلا شك في البكالوريا لو واصلت الدراسة فقد كنت الأولى في كل شيء"[4] .أما طموحها فلا حدود له في شبابها كانت تحلم بأن تكون طبيبة وتختار أحد زملائها المتفوقين من المتخرجين فتتزوجه ويسكنان "فيلا" فاخرة وينجبان ثلاثة أولاد فقط .

وبعد الزواج وقد بلغت من العمر التاسعة والعشرين سنة لم ترض فاطمة بوضعها في بيت الزوجية وتحت سلطة "باية" حيث تنهض في السادسة وفي أبعد تقدير في السادسة ونصف، لا تستطيع كغيرها من النساء نشر الغسيل على نوافذ الشقة، لا تخرج من البيت إلا للضرورة وبمرافقة "باية" ،

---

(1)- المصدر نفسه ، ص 129.

(2) – المصدر نفسه 119.

(3)– إبراهيم سعدي : النخر(رواية) ، مصدر سابق ، ص 84.* والصواب الثالثة عشر من عمري

(4) المصدر نفسه ،ص 82.

ولا يزورها أحد من أهلها ولهذا صارعت "فاطمة" "باية" صراعا قاسيا دام عشر سنوات وظهرت أثاره في تمردها على زوجها "دحمان" وفي حقدها عليه فـ"لم تتعامل معه منذ عشر سنوات سوى بلغة الشتم والسب،سوى بالصراخ"[1] ،وهو في يقينها رجل حقير وسكير ولعين، لشدّ ما فكرت في مصارحته بإحساسها نحوه فأوشكت أن تقول له في كثير من المرات: " طلقني أيها السكير(...) طلقني إن كنت تملك ذرة من الرجولة، أنا أمقتك أكثر من الموت"[2]. وقد طال حقدها هذا "باية" ، وهذا لأنها كما رأت حرمتها أبسط حقوقها، ولذلك خاصمتها وتمردت على سلطتها ولم تعد تكلمها، لذلك يزداد سخطها فتتمنى لها الموت حتى تتخلص من ما أحدثته لها من معاناة تقول في نفسها:"أما أنت أيتها العجوز المخبولة فليكن هذا اليوم آخر يوم تمشين فيه على قدميك، وتستنشقين فيه الهواء، ليأخذ عزرائيل روحك الشريرة"[3] لقد امتد حقدها إلى بقية أهل البيت من الرجال والنساء، فتمنت لهم الشر والهلاك جميعا أيضا وعرفوا هذا من سلوكها نحوهم، فبادلوها الأحاسيس ذاتها فـ"عاشت طوال العديد من السنين وسط نساء ورجال أضمروا لها وأضمرت لهم العداوة الشديدة فرق الله شملهم وأفنانهم وأبعدهم عنها الواحد بعد الأخر"[4].

لقد واجهت حياتها الكئيبة والبائسة تلك بصبر لا ينفذ، وعزم لا يلين، فما استسلمت لـ"دحمان" ولا خضعت لأمه "باية" قط، بل إنها قررت تغيير مجرى حياتها وتغادر حياة القهر تلك إلى الأبد. لقد كرهت البيت بما فيه، فتمنت له الخراب وتمنت لمن فيه الهلاك فتقول: و"ليكن إن شاء الله آخر مرة أرى وجوهكن القذرة، وأشم رائحتكن الكريهة، ولتقدر أيها الرب أن لا أدخل هذا البيت مرة أخرى في حياتي، أن لا يفتح بابه في وجهي أبدا"[5] .

([1]) – المصدر نفسه ، ص 207.

([2])–المصدر نفسه ،ص249.

([3]) –المصدر السابق ، ص119.

([4]) –المصدر نفسه ، ص203.

([5]) – المصدر نفسه ، ص 119.

فلكم تتمنى التنعم بما بقى لها من أيام شبابها بعيدا عن الزوج والأولاد والبيت و أهله، فتأخذ حقيبتها وتغادر "هذا البيت المنحوس من غير رجعة (...) تريد أن تنعم بالحياة قبل أن يفنى شبابها فناء نهائيا بين هؤلاء الناس المجانين"[1]. وها هي تنفذ ما عزمت عليه فتخرج إلى رحاب مدينة العاصمة التي كانت تتطلع من نافذة بيتها إلى اكتشاف أسرارها منذ سنوات طويلة. إنها فيها الآن "تملأ نظرها وقلبها وسمعها بدفق الحياة المنتشرة حولها"[2]. لكن متعتها لم تدم فقد التقت بزميلتها في الدراسة "حميدة"، فانقلبت مسرتها إلى حزن مطلق وانكسار ومذلة،فلكم ندمت على خروجها من بيتها بعد ذلك اللقاء، وهي صاحبة الخيلاء والكبرياء، لقد أدركت عند لقاء "حميدة" خيبتها وفشلها في الحياة، لقد حققت "حميدة" ما لم تحققه "فاطمة" بإمكانياتها البسيطة "كيف أخفقت هي فاطمة الرائعة الجمال البالغة الذكاء في حين أفلحت حميدة (...)كانت تصحح لها أخطاءها في الرياضيات، تشرح لها ما استغلق على ذهنها من مسائل"[3].

وها هي بعد اللقاء يعاودها حزنها، وتتحطم أحلامها في الخروج من وضعها المزري، فتدرك هول الكارثة وعظيم المأساة التي أصابها بها الزمن، فأذاقها العذاب والذل فـ"راحت تمشي مطرقة الرأس لا ترنو يمينا أو يسارا غير عابئة بالمحلات الفخمة(...)،مضت في طريقها باتجاه بيتها، رجلاها لا يكادان يقويان* على حملها قلبها غائض بين ضلوعها كل ما حولها ظلام دامس"[4].

وهذه الحال كفيلة بأن تدفعها للتخلي عن الفضاء الذي أجهض أحلامها، وأمات تطلعاتها لحياة مخملية؛ لذلك نجدها تصر على موقفها العدائي لـ"باية" المحتضرة التي طلبت منها الصفح على ما بدر منها إن هي أخطأت في حقها، إلا أنها آثرت الصمت وعدم النظر إليها فـ"كيف تغفر كل ما

([1]) – المصدر نفسه ، ص 192.

([2]) – المصدر نفسه ، ص 244.

([3]) –المصدر السابق، ص 264.

([4])– المصدر نفسه، ص 266.* لا تكادان تقويان ...

فعلت بها هذه المحتضرة!!! لقد حطمت حياتها(...)هل يعيد لها هذا الغفران شبابها الضائع بل حياتها التي ضاعت كلها"[1].

"باية":هي امرأة ريفية من قرية "تمدليت" عاصرت الاستعمار والاستقلال من أسرة "مرابطية"، كما أخبرت عن نفسها، أحبت "حمو" فتزوجا وأنجبا، وهذا جعلها وفية لهذا الحب فتحتفظ بذكراه وبثيابه وأحذيته، كأنه حي ولا تكاد تسلم بأنه مات تقول:"لا أزال احتفظ بها كما أنه سيعود إلى الحياة في يوم من الأيام(...) متى أسلم تسليما أخيرا بأنه مات"[2] .

و"باية" امرأة جلدة قوية صبورة ما أصابها مرض منذ أن ولدت، اغتصبها الفرنسيون ونساء قريتها، فأثر ذلك في نفسها تأثيرا بقيت أثاره تلازمها طيلة حياتها. لقد أحجمت عن الأكل والشرب بغية الموت، ولولا إجبار حماتها لها على تناول الطعام والشراب لهلكت تقول: "الذي جرى لنا في ذلك اليوم الأسود هو أننا بقينا على قيد الحياة، نحمل في نفوسنا عرضنا وشرفنا المداس"[3].

و "باية" امرأة أمية مؤمنة لها صبر قوي ورجاء في الله تعالى لا ينقطع تقول لـ"علجية" التي يئست من رجوع "عبد القادر" : "ينبغي علينا ألا نفقد الأمل في رحمة الله(...)فعلم الغيب عند خالق الأرض والسماوات وحده"[4]. كما تعتقد ببركات الأولياء والصالحين ومنهم الولي "سيدي عبد المالك"، وهي تستنجد بكتابة التمائم وتطعم المساكين وتزور الأولياء الصالحين حينما يستعصى عليها أمر. و"باية" لم تعمل في حياتها إلا كل خير ولم تضمر الحقد لمخلوق تقول لـ"فاطمة":" فأنا أحمد الله لأنني ما اقترفت في الحياة الدنيا ما يغلق في وجهي أبواب جنة النعيم"[5].وهي كذلك امرأة نقية النفس لا تضمر حقدا لمخلوق ويظهر هذا عند احتضارها فتطلب الصفح من "فاطمة"

([1])–المصدر نفسه ، ص 301.

([2])– المصدر السابق ، ص 175.

([3]) – المصدر نفسه ، ص 102،101.

([4])– المصدر نفسه،ص103.

([5]) – المصدر نفسه ، ص 302.

وتسامحها على ما بدر منها قائلة:"إذا ما كنت قد ظلمتك فأنا أسألك الغفران(...) أما من ناحيتي فلن أحاسبك على شيء يوم القيامة "[1].

هيمنت "باية" على البيت ففرضت نظاما صارما على النساء فالنهوض في السادسة صباحا، وفي أبعد تقدير السادسة ونصف،ومن لم تفعل ذلك تقلب عليها الدنيا. تتكفل هي بنشر الغسيل على النوافذ كيلا يرى الناس النساء،لا تسمح لهن بالغناء أو كشف رؤوسهن، فان أردن رضاها فعليهن طاعتها، وهذه "فاطمة" التي عاشرتها وعرفتها تكشف حقيقتها لـ"شريفة" و"علجية" قائلة:"إن أردت التصالح والتفاهم معها فهناك طريق واحد لا ثاني له:أن تقولي دائما نعم أن تفعلي بدون مناقشة كل صغيرة أو كبيرة تطلب منك القيام بها، أن تحني رأسك أمامها على الدوام، أن تكوني مجرد امرأة تطبخ وتغسل وتنام مع رجلها في الفراش أثناء الليل... "[2].

ولـ"باية" عادة حرصت عليها كل ليلة وهي تفقد نظافة المطبخ والأواني التي به، وتوجيه الحديث إلى صورة زوجها "حمو" فتعلمه بما يختلج في نفسها ،ثم تنتظر عودة ابنها "عيسى" المنتحر حتى منتصف الليل بحيث شرعت في "تفتيشاتها الليلية في مختلف أرجاء البيت فتفقدت نقاء الصحاف والأواني والملاعق والأشواك وأرضية المطبخ والقاعة والمضخة والثلاجة للاطلاع على زاد الغد كما فضت انسداد المرحاض (...)وانتظار عيسى إلى منتصف الليل "[3].

لقد اضطرت الظروف "باية" لترك بيتها سعيا منها للحفاظ على بقاء تماسكه، فتقضي على النخر الذي أحست بوجوده فيه، وها هي الآن في بيت ابنها "الزبير" وقد انسحبت من حياة "فاطمة" لعلها بعملها هذا تمكن البيت من استعادة هدوئه "لكنها انسحبت الآن من الميدان انسحاب محارب أسلم سلاحه بعدما نال منه اليأس والتعب والعناء"[4] . في بيت ابنها "الزبير" تبدل حالها، فلم تعد تلك

(1)– المصدر نفسه ،ص 301.
(2)– المصدر السابق ، ص 112.
(3) – المصدر نفسه ،ص 166.
(4)– المصدر نفسه ، ص276.

المرأة الحديدية فتقول لـ"موهوب" حينما زارها:"أنا ما تعودت أن ألم ذراعي على صدري، وأجلس ساكنه في ركن من الأركان (...) كل يوم قضيته هنا جعلني أشيخ بعام" [1].

"شريفة": فتاة من عائلة شريفة "مرابطية" صالحة كما ذكرت "باية" لـ"موهوب" خجولة رقيقة الإحساس تنهمر دموعها لأبسط سبب، تحسن الأمور المنزلية، كتحضير أصناف الطعام وخياطة الملابس وحب النظافة بالإضافة إلى تحليها بحسن الخلق والاستقامة وحب الخير للناس، وهي سليمة من الأمراض، كما أنها تحسن القراءة والكتابة[2].

تقحم "شريفة " إقحاما في وسط مشحون بالكراهية فلا تسمع إلا السب والشتم والصراخ ، ما عادت تستطيع تحمل الحياة في جو هذا الفضاء المشحون بالكراهية، ما ألفت مثله في بيت أسرتها قبل الزواج" فما عادت تطيق هذا الجو الخانق لا أحد يبتسم لا أحد يضحك لا تسمع غير الشتم والسب، لا ترى غير الوجوه المكفهرة على الدوام تحس بنفسها بين مجانين، إنها تختنق في هذا البيت"[3]،فكم تتمنى أن تعيش بعيدا مع زوجها عن هذا البيت وعن أهله الذين نشأت بينهم الكراهية والبغضاء.

لا تتمتع "شريفة" بحريتها التي ألفتها في بيت أهلها ،فمحرم عليها الغناء والرقص وإبداء زينتها، وان فعلت فلا ينالها من "باية" إلا التوبيخ تقول لها:"لا تربية ولا حياء(...) بنت الحسين التي كنت أعتز بها بين النساء تظهر فجأة محبة للرقص والغناء"[4]، ولذلك أمست تعيش حياة حزينة تخشى على نفسها من تأنيب "باية" لو تواصلت مع "فاطمة" بعد ما أدركت الكراهية المتبادلة بينهما ،إنها هي

---

(1)- المصدر نفسه ، ص 276.

(2) – ينظر: المصدرالسابق، ص،227.226.

(3)- المصدر نفسه ، ص 49.

(4) – المصدر نفسه ، ص 78.

"خائفة أن تعود باية فتجدها معها في غرفتها (...)فتظن بها الظنون وقد يحدث مالا يحمد عقباه"[1].

و"شريفة" تحب زوجها "موهوب"، رغم أنها تدرك أنها هذا الحب من طرفها فقط، ومع ذلك تحرص على إرضائه، فما هو براض على حجم عجزها لذلك صارت تحرص على الإكثار من الأكل و"النظر في مرآة خزانتها لترى ما إذا بدت ملابسها تضيق عليها"[2] أن تتخلى عن موهوب أمر لا تقدر عليه، ولذلك تحرص على إنجاب ولد له فتملأ نفسه رضا.

ولقد تغيرت حياة "شريفة" في البيت بعد رحيل "باية" عنه فأصبحت تضحك بصوت مرتفع وترفع عقيرتها بالغناء، كما نزعت الخمار من على رأسها "تكاد ترقص في بعض الأحيان تنهض من النوم قبل قيام "موهوب" ببضع دقائق على الساعة السابعة والنصف صباحا بدل السادسة "[3]، هي في البيت الآن سعيدة لا يعكر سعادتها منغص، و الفرحة تغمر قلبها فتلقى بفيضها على موهوب فتذكر له حينما يعود "كيف لم تكف لحظة واحدة عن التفكير فيه(...) وكيف أنها أسعد إمراة في الدنيا، وكيف أنه أعز مخلوق إلى نفسها، وكيف أنها ستظل وفية له إلى يوم الممات"[4]. لكنها في ظل تسلط "فاطمة" واحتقارها تنتفض وتعبر لها عن عدم رضاها عن تصرفاتها فتخاطبها:"متى تفهمين بأنني سئمت احتقارك وسوء معاملتك، وبأنني لست كلبة في هذا البيت(...) سئمت العيش في هذا البيت تعبت من الحياة أريد أن أموت"[5] . ومع ذلك فقد ساعدت زوجها في تمريض أمه حتى وفاتها وتألمت وبكت،ولم تغادر البيت إلا بعد إصرار موهوب فدفعها إلى ذلك دفعا خوفا عليها مما سيصيبها من "دحمان" المجنون و"فاطمة".

(1)- المصدرنفسه ، ص 85.

(2)- المصدر السابق، ص93.

(3)- المصدر نفسه، ص187.

(4) – المصدر نفسه ،ص 225.

(5)- المصدر نفسه ،ص270.269.

"علجية": لها من العمر ما يقارب الخمس وعشرين سنة وهي ابنة "فروجة" صديقة "باية" الحميمة والمتوفاة من العار كانت محل مقت الجميع، فالفتيات كن يبتعدن عنها، والأطفال كانوا يرجمونها بالحجارة، كما كانت في ما مضى تذوق مرارة الهوان فتغسل رجلي "شابحة" زوجة أبيها، أو قل زوج أمها المغتصبة، وتسد رمقها بما تبقى من حاجات الأسرة من الطعام، وتطارد القمل في رؤوس أطفالها، فهي كما تقول عنها "شابحة" لزوجها: "إنها ابنة الرومي وليست من دمي ولا من دمك"[1]

لقد حرصت "باية" إكراما لذكرى صديقتها على تزويج "علجية" من ابنها "عبد القادر" لتخليصها من معاناتها ؛ولهذا نجدها تبوح لها بهذا السر فتقول:"لقد حرصت أن يتزوجك لأنني قلت في نفسي هذه الفتاة بنت "فروجة" إن لم أوفر لها الحماية أنا "باية" ولم أفتح لها باب داري، فمن غيري يفعل ذلك؟أأتركها تحت رحمة "شابحة" تمتص دمها؟"[2].

مضى على زواجها من "عبد القادر" خمس سنوات قضت معه أسبوعا فقط فغادر ولم يعد بعدها أبدا، فلا تكاد تتذكر عنه اليوم شيئا من الأشياء لا صوته ولا شكله. تعيش غريبة مقهورة في بيت أسرة زوجها، وقد اتخذت لها جانبا من قاعة الجلوس مسكنا تهجع إليه ليلا، فتستسلم لهمومها وأحزانها وأحلامها بل ليأسها ورؤاها المجنونة فـ"لا تدري ما تفعل في هذا المكان بل في هذه الدنيا بأسرها"[3].

لقد استبد بها يأسها وتسلطت عليها رؤاها المجنونة في عالم وحدتها فأدى بها إلى التفكير في التخلص من حياتها التي أصبحت بلا معنى، في عالم ما عادت تهتم ولا ترى نفسها تنتمي إلى ناسه، لقد حاولت في "ليلة من الليالي الممطرة أن تلقي نفسها من الطابق الثاني من الطريق حين

---

(1) – المصدر السابق ، ص140.135.

(2)–المصدر نفسه ،ص 102.

(3) – المصدر نفسه ، ص 9.

اشتد بها اليأس والسأم من الحياة"[1] فما الجدوى من الحياة ؟لقد ازدادت أوضاع "علجية" سوءا فـ"عبد القادر" يعلن في آخر رسالته لأمه بأنه لن يعود أبدا وأنه يطلق "علجية" طلاقا بائنا وبإمكانها العودة إلى أهلها،فتعود من حيث أتت بعد خمس سنوات تجر أذيال الخيبة بصورتها الأولى تقريبا تنقصها فقط الزغاريد والأهازيج "،ها هي اليوم تنزل في "تافوسه" من الحافلة مطلقة من "عبد القادر" عائدة بحقيبة عرسها البيضاء مرتدية نفس الفستان الأبيض الذي لبسته يوم زفافها"[2] .لم تعد "علجية" كما في سابق عهدها تهتم بما يحيط بها، فصمتها دائم وقلبها خال من العواطف بسبب حياتها الضائعة، فعادت إلى جلب الماء وغسل الملابس و"استغراقها الطويل في النظر إلى "غار الشياطين"، وكانت ترى مخلوقات بشرية ذات أجنحة وفي بعض الأحيان ذات قرون تنبثق من حيث لا تدري"[3] .

لقد فقدت صوابها فجأة،وصارت تعتقد بأنها عروس إبليس وستزف إليه، فلبست ثياب عرسها وتجملت وتوجهت إلى الغابة صوب "غار الشياطين" بلا رجعة، فاندفعت النيران في الغابة و"عثر عليها ميتة مفحمه ملقاة وسط الرماد(...) وسميت تلك الليلة بليلة عرس علجية وإبليس"[4]

"زليخة":هي البنت الوحيدة في عائلة "حمو" و"باية"، ولذلك أغدق عليها الجميع الكثير من حبهم فكانوا يسارعون لإرضائها، ويتجنبون بكاءها فكانت الفتاة"الرقيقة الجميلة الخجولة التي حظيت بطفولة سعيدة رائعة، ما نعم إخوتها ولو بقدر ضئيل منها"[5].حرص أخوها "دحمان" على تعليمها قواعد الدين وأصول الأخلاق، فنشأت على الفضيلة والاستقامة والحشمة، كانت متمسكة بأيام طفولتها تمسكا قويا، فلم تشأ أن تتخلى عنها، فكانت تهفو إليها كلما خلت بنفسها ووجدت إلى

---

(1) –المصدر نفسه ، ص 35.
(2) –المصدرالسابق ،ص133.
(3)– المصدر نفسه ، ص 146.
(4)– المصدر نفسه ، ص 153.
(5)– المصدرنفسه، ص307.

استرجاعها سبيلا "كانت تعود إلى ألعابها القديمة تلك، وهي في سن السادسة عشرة خفية عن والدتها وإخوتها تلهو بها على غرار ما درجت عليه أثناء طفولتها وقالت لها : الناس يكبرون وأنت تصغرين"[1] . تزوجت "زليخة" من ابن عمها "البشير"، فأقامت في بيت أسرتها وأنجبت ولدها الأول "موحوش". يزورها زوجها "البشير" مرتين في السنة "فتكاد تهلل وتطير من الفرح إذا ما جاءها زوجها مرة واحدة في ستة أشهر. تبدلت أوضاعها بعراكها مع "فاطمة" ورحيل أمها عن البيت فأمسيت "خالية من وداعتها الماضية الحالمة، فيما أوحى وجهها بشيء من الحزن والخبرة بالحياة، كما باتت تعمل عقلها أكثر من أي وقت مضى"[2].

كانت تحلم بأن تعيش في بيت واحد مع زوجها فتتمتع بالحياة الأسرية بعيدا عن أفراد أسرتها "فكم تاقت (..)إلى أن تنعم بالعيش معه تحت سقف واحد، فتعد له الأكل والملبس وتغدق عليه الحنان والحب، وتهون عليه الهموم والأحزان، وتغسل له قدميه عند التعب، مثلما كانت تفعل أمها مع المرحوم حمو "[3] . وها هو الآن حلمها يتحقق حينما قرر "البشير" اصطحابها وولده لتعيش معه في الجنوب الجزائري، لكنه يفاجئها فيأمرها بالتخلي عن حجابها وخمارها ويكون ذلك أول خطوة تخطوها في حياتها الجديدة ف"أحسست بأن لحافها وحجابها اللامعين ومناديلها ذات الألوان الزاهية(...)قد فقدت بغتة قيمتها وبأنها فيما هي تطوى فوطتها إنما تطوى مرحلة من العمر منهية خروجها عن سلطة "باية" وعن تعاليم "دحمان" الروحية"[4]، لكن أحلام "زليخة" لم تتحقق فوضعها الأسري والنفسي الجديد لم يكن مثلما تمنته وتخيلته، فزوجها متزوج من ثلاثة هي رابعتهن و إحداهن تشاركها السكن ،وهي الآن حامل زوجها يضربها بين الحين والآخر فصارت حياتها كما

---

(1) – المصدر نفسه ، ص 183.
(2) – المصدر السابق 178.
(3)– المصدر نفسه، ص 193.
(4) – المصدر نفسه ، ص 197.

أخبرت في رسائلها لـ"شريفة" جحيما لا يطاق كل ذلك أدى إلى إجهاضها و"كانت ستضع حدا لحياتها لولا وجود ولدها موحوش"[(1)].

"شابحة": هي امرأة قاسية القلب شديدة البأس قوية جاهلة حمقاء شرهة، تضمر الحقد والكراهية لـ"باية" منذ القدم ،وهي شديدة التذمر من وجود "علجية" في بيتها والخوف من جمالها تقول لها عند عودتها مطلقة: "ربي رزقك بيتا وأنت رحت تفرطين فيه، ثم جئت عندي لكي تأكلي خبز أولادي وتسكني بيتي"[(2)] ، لأجل ذلك صارت دائمة التشكي لنساء القرية من وجود "علجية"، حتى أنها تمنت لنفسها الموت على الحياة تقول" أفضل الموت على العيش في هذا البيت"[(3)] .

وشابحة تمارس السحر لتنتقم من "باية" وأسرتها فـ"راحت ترقص رقصة محمومة حول جمجمة القط الأسود(...)وهي تتمتم بالتعاويذ"[(4)].

وفي رواية" **فتاوى زمن الموت**" نجد شخصية "خوخة" هي أخت "ياسين الحزين" و"إبراهيم" تسكن في الطابق الأول من العمارة التي يسكنها "موح" ماتت والدتها وتعيش مع والدها ومع أخيها "ياسين" في البيت .بعد موت أبيها ومقتل أخيها "إبراهيم" صارت "خوخة" تعيش وحيدة مع أخيها "ياسين" الحزين فقط ،وبالرغم من عدم ارتدائها الحجاب كما أصبح شائعا، فإنها بقت محترمة لانضباطها ولمحافظتها على سمعتها وشرفها. يكتشف أخوها "ياسين" علاقة غرامية ليست بريئة بينها وبين متعاون فرنسي كان يعمل معها، فتهرب معه لكنها تعود للظهور في الحي بعد مدة فلا شيء تغير فيها فـ"لم يبد أي أثر للانفعال على وجهها، لكأنها لم تغادر الحي أبدا ولم تتسبب في فضيحة مشهودة لم يعرف الحي مثلها فقط"[(5)] .وقد لاقت رجم الأطفال وإعراض الرجال والنساء

([1]) – المصدر نفسه ، ص 285.

([2])– المصدرالسابق ، ص 135.

([3])– المصدر نفسه ، ص146.

([4])– المصدر نفسه ، ص 144.

([5]) – إبراهيم سعدي : فتاوى زمن الموت ، مصدر سابق ، ص 99.

جميعا و"كان موقف صديقاتها وجاراتها السابقات منها أكثر حدة، فالأولى أغلقت في وجهها الباب، والثانية قالت لها بنبرة تقزز:لا أتذكر بأنه كانت لي علاقة بفاسقة الله ينجي المؤمنين"[1].

أما الجماعة المتشددة وعلى رأسها "موسى" فقد رأت وجوب إقامة الحد عليها؛ لأنها زانية وأفتى "موسى" بذلك يقول لأخيه "موح":"عمل تلك الفاسقة من الكبائر فهي لم تزن فقط، بل تزوجت من نصراني لو كانت تقام حدود الله في هذا البلد ما حدث العار، حين تلتقي بها مرة أخرى قل لها بأننا سنقيم عليها الحد"[2].

وفي رواية "**بحثا عن آمال الغبريني**"نجد الشخصيات النسوية الآتية:

"آمال الغبريني": فتاة ولدت خلال الحرب التحريرية من أم جزائرية وأب هو في الواقع ضابط فرنسي، كانت الأم قد وقعت أسيرة حبه المجنون، تكفل بتربيتها رضيعة دير للآباء البيض، لكنها استعيدت وتكفلت بها أسر جزائرية في طفولتها وشبابها ،تعلمت فدخلت الجامعة وصارت طالبة لـ"مصطفى نوري" (الأستاذ وناس خضراوي). كانت تسكن شقة في عمارة تقع في نفس الحي الذي يسكنه هو أيضا، وتحصلت عليها بعد أن عرضت على الوالي حالها، كانت والدتها وبمساعدة القابلة "الجدة حليمة" قد حاولت الاتصال بها للتكفير عن ذنبها، بعد أن أدركت تقصيرها نحوها، لكن "آمال" أصرت على جفائهاف "صار كل شيء فيها فجأة قاتما معبرا عن الصدمة،عن الألم عن المقت"[3] .

اضطرتها ظروفها للزواج في أول مرة من "أمقران" بن العائلة التي كانت تتكفل بها أخيرا رغم اعتراض أسرته على ذلك الزواج إلا أنه تم بسيطا وخلا من كل مظاهر البهجة، لكنه لم يعمر إلا عامين، فتزوجت من جديد من "بو جمعة" وكان عضوا في "الجبهة الإسلامية"،كانت "آمال" ترى

---

(1)- المصدر نفسه ، ص 99.

(2) – المصدرالسابق ،ص 109،110.

(3) –إبراهيم سعدي : بحثا عن آمال الغبريني(رواية) ، مصدر سابق ،ص34.

أستاذها "وناس خضراوي" كأخ من أمها وأبيها، وكثيرا ما كانت "تشير إليه في أحاديثها بعبارة آخي وناس"[1] ،وكثيرا ما كانت تبدو غارقة في حزن يرافقه صمت مطبق كأنها طفلة مكتئبة في حاجة إلى من يساعدها ،وأحيانا تسرى في نفسها حالات من البهجة لا تعلم أسبابها. والظاهر أن لتربيتها ومعتقدها أثر في علاقتها بالناس وفي تصرفاتها، فقد كانت تخالط النساء كما الرجال، كما أنها رفضت تشدد زوجها "بو جمعة" تقول لأستاذها" مصطفى نوري" (وناس خضراوي) بعد أن رآها مرتدية الحجاب: "لكن مصطفى أنا أؤمن فقط بالله مثل عامة الناس (...) أنت تعرفني مصطفى أنا عشت دائما حرة"[2] ،ولنتابعها تكشف عن مشاعرها وهي حامل وتترقب مولودها لكنها تخشاه كما تخشى المستقبل الرهيب الذي ينتظره تقول:"يوجد في داخلي شيء كأنه شيطان لن أستطيع أن أكون كما يريد"[3].

في كل مرة ترحل "آمال" من مكان لآخر بعدما تعلق بها المحبون، وهام بها العاشقون فصارت طيفا لا ينال وحلما بعيدا المنال، هي سبيكة نورانية ونجمة قطبية يقول "وناس خضراوي" لـ"المهدي" بعدما أدرك حقيقتها :"لن تنال شيئا من "آمال "المهدي "آمال" طائر يحلق في آفاق بعيدة لا متناهية، نجم مشع سيار غير قابل للامساك، نور مضيء لا احد يستطيع أن يملكه لنفسه، حلم غير قابل للتحقيق وهم ولكنه مستحيل المنال"[4] .

"ليليانا": اسم مستعار لفتاة افريقية من قبيلة "التوتسي" كانت أسرتها قد أبيدت كلها واضطرتها ظروفها فوقعت في يد المهرب "موديبو براراتوري"، وصار مالكها وهربها لمدينة في الجنوب الجزائري و يديرها في الدعارة، شأنها شأن النساء الإفريقيات في حي الأنذال لتدر عليه مالا، لقد اشترى لها بطاقة تعريف جزائرية، ثم دبر لها حياتها الجديدة لتقيم في فندق الجنوب، وليكون لها

---

(1) – المصدر نفسه ، ص 79.

(2) – المصدرالسابق ، ص 151.

(3) – المصدر نفسه،ص 151،152.

(4) – المصدر نفسه ، ص 249.

زبائنها المتميزون [1] .يبدو أن "ليليانا" لم تقتنع بحياتها الجديدة، لقد أرادت التخلص من وضعها بالهجرة إلى الشمال الجزائري، لأنها ترى الحياة والنجاة فيه ويظهر ذلك حينما أوحت لـ"المهدي" بمساعدتها على ذلك، إلا أنه كان لا يرى في هذا خلاصها،و في النهاية تصر على الانتقام لنفسها فتقتل "موديبو براراتوري" وعشيقته المومس في فندق الجنوب[2].

وفي رواية"**بوح الرجل القادم من الظلام**" نلمس المظهر الاجتماعي والنفسي للشخصيات كما يلي:

"ضاوية": فتاة حالمة طموحة من مدينة "عين..." كانت تأمل في أن يأتي يوم من الأيام تغادر فيه المدينة مع الرجل الذي تحبه، ويأخذها إلى حيث تحقق أحلامها تقول للدكتور الحاج "منصور نعمان" زوجها:" وافقت على الزواج منك لأنني حلمت أنه في يوم من الأيام سنرحل إلى مدينة أخرى، كنت دائما أحلم برجل قادم من الشمال ليخطبني ويحملني بعيدا عن "عين ..." عندما رأيتك أول مرة أبصرت مدنا متلألئة،أبصرت بحارا واسعة وأماكن مبهرة"[3] .كانت تعيش مع والدها الأرمل وأخيها الذي تعامله معاملة الأم ،وصارت تشعر بالذنب يوم زفافها، لأنها تعتقد أنها تخلت عنهما،تتزوج من "الدكتور منصور نعمان" وتنجب منه ابنها الوحيد "عبد الواحد" لا تحقق أحلامها بالزواج من" منصور" ،ولا تحقق له رغباته الشبقية ،فتسمح له بالزواج من أخرى بل من أخريات، وتقيم علاقات طيبة معهن ،ومع ذلك تبقى الزوجة المفضلة، فيطلق الأخريات ليعيش ويقيم معها ويبوح لها بأسرار حياته الماضية التي تقض مضجعه "وتحتفظ بالسر احتفاظ الأموات"[4].

([1])- ينظر: المصدر نفسه ، ص 217،220،223.

([2])- ينظر: المصدر السابق ،ص 226،227.

([3])- إبراهيم سعدي :بوح الرجل القادم من الظلام (رواية)،مصدر سابق ، ص 251.

([4]) – المصدر نفسه ،ص122.

"سيلين": طالبة بيولوجيا من أصل يهودي ذات توجه "تروتسكي"[1].تمارس نشاطها "الايديولوجي" مع زملائها في نفس التوجه، ويعولون عليها في النضال ضد البرجوازية بدأت في تكوين "منصور" تكوينا سياسيا "ماركسيا"وتحاول إقناعه به.

و"سيلين" في الواقع تحب "منصور" وتحاول الانتحار بسببه بالإفراط من تناول الحبوب المنومة وكانت تردد اسمه .

السيدة "كلير ريدمان": معلمة فرنسية من أبناء الأقدام السوداء استوطنت أسرتها الجزائر منذ سنة 1832.جدها كان نقيبا في الجيش المحتل لمنطقة "سيدي فرج" الكثير من أجدادها دفن في مقبرة النصارى" بحسين داي"،"إنها نتاج الرأسمالية الكولونيالية"[2].

ولدت السيدة "كلير ريديمان" في "كيوفيل" (حسين داي) ،ولم تطأ قدماها فرنسا مرة. كانت متزوجة من "جيرار"لكنها انفصلت عنه منذ ثلاث سنوات فصارت امرأة مطلقة. بعد استقلال الجزائر لم تغادرها هربا وخوفا كما فعل الكثير من الأوربيين، لكنها بقت في بيتها.

بشاشة وجهها تشوبها مسحة حزن يكشفها اغروراق عينيها بالدموع وشرود ذهنها بين الحين والآخر، لقد فقدت كل شيء.إنها ممزقة الوجدان بين البقاء في الوطن الذي ولدت وعاشت فيه ، أو الرحيل عنه كما فعل الآخرون، لكنها تقرر الرحيل ،وقبل أن ترحل تمارس طقوس الوداع وتغادر بيتها بعدما تنازلت عنه وبكل ما فيه لـ"منصور" وترحل "بجرابها الموضوع على الأرض،وبمحفظتها اليدوية الصغيرة التي كانت تتدلى من على كتفها، بدت كما لو أنها ذاهبة في مجرد رحلة عادية"[3].

والسيدة "كلير ريدمان" امرأة اجتماعية لا يشعر "منصور" معها بالعنصرية التي عهدها في الاوربيين، فعندما تصادف "منصور" تلميذها السابق وتتعرف عليه تعانقه كما لو كانت بينهما

([1]) –ينظر: المصدر نفسه ،ص 141.

([2]) – المصدر السابق، ص 143

([3])- المصدر نفسه ، ص 62.

صداقة قديمة وتدعوه لمرافقتها إلى بيتها.التقت بـ"منصور" في باريس وكان اللقاء صدفة حزينة أيقظت آلامها ونكأت جراحها، لم تتغير ملامحها كثيرا، لكنها تغيرت في العمق يقول منصور: "إلا أن السيدة كلير ريدمان قد انصرفت بدورها،وهي في حالة يرثى لها،لا شك أنني أيقظت جراحها اللقاء كان صدفة تعيسة في الحقيقة"[1].

وخلاصة هذا الفصل

• في وصف الأحوال الاجتماعية و النفسية يتم رصد التغيرات التي تصيب الشخصية إثر تعرضها لأحوال ما،وهذا لأن الراوي يزاوج بين الوصفين لتقاربهما فيصف الشخصية من الخارج، ثم يعبر إلى الداخل وقد يصفها من الداخل ليصور تأثير أحوالها النفسية وانفعالها على سلوكها ومظهرها، ولهذا فالوصف الداخلي يتماهى في الوصف الخارجي ،والخارجي يذوب في الوصف الداخلي بسبب التوظيف المتناوب والسريع والمستمر لوصف أحوال الشخصية وما تقوم به كما تضيع الحدود أيضا بين الوصف السرد.

• إن الروايات نموذج للخطاب الواقعي في الرواية الجزائرية العربية، لأنها صورت الواقع المعيش، ولقد بلغ الإيهام المرجعي فيها قمته، فالحوادث والفضاء بإطاره المرجعي ممثلا في الزمن والشخصيات والأسماء والصفات كلها جميعا تبرز ما له علاقة بالحياة الواقعية واليومية للإنسان.

*****

(1)- المصدر السابق، ص 140.